السامي الذي يقرّ لهُ اعداؤهما . او كيف خطر على بالهما ان يسمّيا رجلًا يكون موتهُ اقوى حجّة على قتلهما في ساعة كان اهل الثورة يطلبون لذلك سبباً خفيفاً دون ان يجدوهُ . ولو ارادا قتلهُ لفعلا ذلك خفيةً بيد احد الخدم او الجند ولم يدعا جامين يخرج من القصر بعد تسميمهِ بسمّ ذعاف

وان قيل انّ جامين ادّعى انهما سمّاهُ . اجبنا انّ دعوى رجل واحد لا تُقبل في اي شريعة كانت فما قولنا في شكاية رجل اقرّ كاتب المقتطف بمخابجهِ وشراسة اخلاقهِ وخيانتهِ للملكة

ثمّ انهُ لامر معلوم انّ جامين لم يتظلّم من تسميم الملك والملكة له الّا بعد قتلهما بستّة اشهر فما له سكت عن هذه الفظيعة لاوّل مرّة بعد ان كشف سرّ سقط الحديد اذ كان لويس وقرينتهُ في الحبس . أفلا يظهر من سكوتهِ قبل وفاتهما انّ شكايتهُ محض اختلاق لا وجه لها من الصحة وانّما اراد فقط ان يكتسب راتباً سنويًّا يعيش بهِ

واغرب من ذلك ان الكتبة اعداء لويس السادس لم يجسروا حتى بعيد هذه السعاية ان يدوّنوا خبر تسميم جامين في كتبهم لعلمهم بكذبهِ فبقي السرّ مكتومًا حتى اطّلع عليهِ « في مجلة انكليزيّة » الكاتب الجيد خليل افندي ثابت فزيّن بهِ صفحات المقتطف

فيا لله من مؤرخين مدقّقين لا يخجلون ان ينقلوا الى شرقنا العزيز كلّ اكاذيب البلاد الغربيّة وهم يزعمون انّهم يعلّمون بيننا النور ويهذّبون الاخلاق وليسوا في الحقيقة الّا مفترين وللفساد ناشرين

الكونت رشيد الدحداح واسرتهُ

للشاب الاديب والكاتب المحقق الشيخ سليم خطّار الدحداح

٢ شباب الكونت دحداح الى سنة زيجتهِ

رُشيد موضوع كلامنا في هذه المقالة هو ابن الشيخ غالب ابن الشيخ سلّوم(١

---

١) قد مرّ في المشرق ذكر الشيخ سلوم بن موسى بن يوسف سليل الكهنة السبعة الذين منهم آل الدحداح . وخلّف سلوم ثلاثة اولاد وهم منصور (راجع المشرق ص ٣٩٣) وبشير الذي توفي سنة ١٨٣٩ عن ولدين ماتا دون عقب . وغالب ابي الكونت وقد توفّي سنة ١٨٦٠

الدحداح. وُلد سنة ١٨١٣ في قرية عرامون كسروان في دار جدّهِ سلوم التي ورثها عنهُ ابوهُ وعمهُ بشير وموقعها اسفل قرية عرامون بالقرب من الجديدة وامامها ميدان واسع كبير حسب العادة المرعيّة حينئذٍ في دور الامراء والشيوخ. وفي هذه الدار وُلد لغالب بعد رشيد ابنهِ البكر خمسة اولاد وابنة واحدة وهذه اسماؤهم: خليل وعبّاس وسلوم وراحيل وامين ونقولا

وقد احسن والدا رشيد تربيتهُ وكان الشيخ والدهُ مشهورًا بحسن تهذيبه لبنيهِ وشدّة حرصهِ على آدابهم يؤثر العنف بهم على اللين والتراخي. وقد سلّم اولادهُ الثلاثة الكبار اعني رشيد وخليل وعبّاس الى شماس من جيرتهِ يدعى الشماس نهرا مراد (١ فاحسن هذا تهذيبهم ورباهم على حب الدين والفضيلة ونشطهم على اتباع مبادئ الشهامة الغريزيّة في دمائهم. ولمّا بلغوا السنّ الموافقة لدخول المدارس أرسل رشيد الى مدرسة عين ورقة الشهيرة مع اخيهِ خليل. امّا عبّاس فأُرسل الى مدرسة انتشار الايمان في رومية

فبقي رشيد بضع سنوات في عين ورقة تعلم باثنائها اصول اللغة العربيّة وفروعها واللغة الايطاليّة ودرس الفلسفة والعلوم وبعد ان حاز قصب السبق على جميع اقرانهِ متفرّدًا بينهم بحسن ذكائهِ وتوقّد ذهنهِ دخل مدرسة سيدة بزمّار للارمن الكاثوليك فدرس فيها اللغة التركيّة وبرع فيها. وكان شابًا فصيحًا رزينًا عاقلًا

وفي سنة ١٨٣٨ قرّبهُ اليهِ الامير امين ابن الامير بشير وعيّنهُ في ديوان ابيهِ في بيت الدين كاتبًا لاسرارهِ. فقضى في هذه الخدمة سنتين او ثلاثًا اشتهر في خلالها ببراعتهِ وحذقهِ وامانتهِ فنال حظوةً ومكانةً في عين مولاهُ. وبعد نفي الامير عاد الى بيتهِ في عرامون. ثمّ ذهب في معيّة عمهِ منصور برجال الفتوح لنجدة الحاكم الجديد الامير بشير ماحم ومطاردة جيش ابرهيم باشا (كما سبق القول) فوصلوا الى البقاع ومن هناك عادوا الى بيت الدين. ثمّ رجع الى بيتهِ ولم يقبل مأمورية ما. ولمّا تعيّن عمر باشا سنة ١٨٤٢ بدلًا من الامير بشير المذكور قرّب اليهِ الشيخ رشيد وعرض عليهِ مأموريّة فأبى. ثمّ رضي

١) وهو الذي تلمّذ الخط عند الشيخ مرعي الدحداح وتقيّد بخدمتهِ. وفيما بعد اضطهدهُ الامير بشير الكبير بسبب الشيخ مرعي. ففرّ من وجه الامير ودخل في مصاف الاكليروس فصار كاهنًا ثمّ اسقفًا تحت اسم المطران نقولا مراد. وتوفي في رومية سنة ١٨٦٥

ان يتولّى نظارة البكاليك اي الاملاك الاميريّة في لبنان. وقد حبس رشيد من المسائل والاسباب ما دفعهُ الى ترك وظيفته والرجوع الى موطنه حيث اقام زمناً غير مديد

وفي تلك الاثناء قبض اعداؤهُ على رسولهِ يوسف الكريماتي الغدراسي وسلبوه التحاريز التي كان يحملها من الشيخ الى المثلّث الرحمات البطريرك يوسف بطرس حبيش. فكان ما كان من تزول رُشيد الى غزير بسبعة من اقاربه المشايخ (١ وخمسين رجلاً من اهالي عرامون. واتفرادهِ بالبعض منهم للاحقة الاعداء حيث خلص منهم الرسول وجميع التحاريز التي سلبوها. ثم توارى مع ذويه في الوديان والاماكن غير المأهولة. وقد حدث مع اقاربه ورفقائهم في غزير ما تغني شهرتهُ السيّئة عن ذكرهِ في هذا المقام. فنجتزئ بالتلميح الى ان هذه الحادثة كانت العامل الأكبر لسفرهِ من هذه البلاد وبقائهِ في دار الغربة مدى العمر. فضلاً عن تشتّت شمل اخوته وعموم المشايخ اقاربه

وكان بين هذه الحادثة وسفر رُشيد الى اوربة فترة ثلاث سنوات قضاها مختبئاً في مجاهل لبنان او في صيداء بخان الافرنج عند المسيو كوتي قنصل فرنسة. ومن جملة نوادرهِ في تلك الازمنة انهُ خرج من مخبأهِ في لبنان والتقى قرية بتاتر واتفق مع المسيو نقولا پورتاليس على ان يدفع ذوي مناصب لبنان من امراء ومشايخ دروز وموارنة الى الاجتماع وانتخاب حاكم لبناني. فلبّى الجميع نداءهُ واجتمعوا في المديرج وانتخبوا الامير اسعد قعدان (٢ الذي اصدر الامر إيذاناً بانتخابه. والشيخ هو محرّر هذا الامر كما حرّر ايضاً صكّ اتحاد الامراء والمشايخ من الطائفتين. ثم حضر مع الامير اسعد قعدان الى عاليه حيث احتفى بلقائهما مشايخ تلحوق. وقد تعيّن حينئذٍ رُشيد كتخدا الامير او مدير اعمالهِ (تشرين الثاني ١٨٤٣). لكن عمر باشا لم يقبل بذلك. وفي ٢٠ كانون الاول من تلك السنة تفرّق شملهم. ففرّ الشيخ رشيد الى صيداء حيث بقي سنتين انصبَّ في خلالها على درس الشريعة والفقه على مذهب ابي حنيفة. ثمّ استحضرهُ قنصل فرنسة في بيروت واعادهُ الى لبنان مشترطاً عليهِ عدم التعرّض للامور. وقد تداخلت سفارة فرنسة بناء على طلب مجمع انتشار الايمان فسعى

١) وهم خليل وسلوم (اخواهُ) وزعيتر وطنوس وبولس وسعد ويوسف بن امين

٢) والد الامير افندي شهاب المتوفّى مؤخراً في رئاسة مجلس ادارة لبنان

القنصل بتسوية الخلاف ومساعدة رشيد واقاربهِ

وفي نهاية تلك السنة عاد من مرسيلية الشيخ مرعي الدحداح زائرًا الوطن بعد تغيُّبهِ عشرين عامًا عنهُ. ولمَّا كان لأخبار الشيخ رشيد علاقة بالشيخ مرعي احببنا ان نذكر لمحة من ترجمة هذا الاخير اقول:

ان الشيخ مرعي كان ابتدأ بصفة كاتب عند الامير حسن (١ في غزير ثم وكيلًا على مشايخ الكورة. ثم مدبّرًا عند الامير قاسم (٢ الذي خلف الامير حسن في غزير من ١٨٠٨ الى ١٨٢٠ حيث اضطر الامير بشير للسفر ثانيةً الى مصر. فبقي الامير قاسم في لبنان واتفق مع خصم ابيهِ الامير عبَّاس الذي اتخذ الشيخ مرعي كتخدا عندهُ في بيت الدين. فلمَّا رجع الامير بشير عزل ولدهُ الامير قاسم واقام بدلًا منهُ في غزير الامير عبد الله ابن اخيهِ الامير حسن وامرهُ بسجن الشيخ مرعي فسجنهُ. وقد تمكَّن هذا من الفرار واتفق مع الشيخ بشير جنبلاط (٣ وحزَّب لهُ قسمًا من عائلتهِ واتاهُ برجال الفتوح نجدةً في « قومة المختارة ». فكان من امرهم ما كان من فرار الشيخ بشير ورؤساء احزابهِ الى جهات مختلفة بعد فشل اقوامهِ في السقانيَّة وبعقلين والمختارة

اما الشيخ مرعي ففرَّ الى داخليَّة البلاد العثمانيَّة. فالقي القبض في حماة عليهِ وعلى ابن عمهِ جهجاه. ولكن انقذهما هناك المرحوم نخايل نصور كاتب المتسلم ومدبّر اعمالهِ فانهُ ابقاهما في بيتهِ ضيفين كريمين مدةً ثمَّ اذن لهما بالانصراف الى حلب حسب رغبتهما وبواسطتهِ تمكَّن مرعي من الدخول في محل المسيو بيتشوتو اليهودي قنصل دولة اوستريا في حلب. وبعد حين لمَّا رآهُ بيتشوتو خائفًا على نفسهِ حتى في حلب من سطوة الامير بشير وقد امتحن خبرتهُ وذكاءهُ وسموّ مداركهِ ارسلهُ الى مرسيلية ليكون في محلهِ التجاري هناك

وبعد مدَّة ارسل مرعي يستدعي الى مرسيلية زوجتهُ واولادهُ فسافرت سنة ١٨٣٤ مع اولادها. وقد بقي مرعي من ١٨٢٥ الى ١٨٤٥ في مرسيلية حيث فتح لحسابهِ محلًّا

١) وهو اخو الامير بشير الكبير
٢) بكر ابنال الامير بشير الكبير
٣) وكانت وقتئذٍ انقطعت علائقهُ مع الامير بشير الكبير

تجاريًا بعد اقامته مدة وجيزة في محل بيتشوتو. ولبث محافظًا على عوائد جبل لبنان في ملبوسه وزيه الشرقي. ولم يكن ذلك ليحطّ من شأنه بل زاده اعتبارًا في اعين الاجانب

وقد كان لهُ مقام رفيع عندهم نظرًا الى ما عرفوهُ عن وجاهة عائلته وشأنه الخطير في امور لبنان. ولما وقعت مسألة ١٨٤٠ في الشرق استدعاهُ الملك لويس فيليب الى باريس رقابةً مرارًا عديدة هو ورئيس وزرائه المسيو تيارس الشهير ليستطلعا رأيهُ ويعرفا الحقيقة عن تلك الاحوال

وبعد ان سقط الامير بشير وزالت سلطته عن لبنان وتأكّد ان لا خوف منهُ بعد اغتنم الفرصة التي طالما حنّت اليها نفسهُ وجاء سورية لمشاهدة الاوطان والاهل والخلان. فاقام مدّة وجيزة متنعّمًا بالوطن المحبوب بعد يأسه. ولمّا عزم على العود الى مرسيلية حيث كان قد ترك عائلتهُ وتجارتهُ استصحب معهُ الشيخ رُشيد لانهُ توسّم خيرًا مما رأى فيه من الذكاء والغيرة والاقدام والحكمة وسعة المعارف وثبت لهُ ان سورية ولبنان لم يعودا يصلحان لاقامته فيهما. فسافر الشيخان في اواخر ١٨٤٥ الى فرنسة. فوصلا مرسيلية وتعيّن رشيد كاتبًا في محلّ الشيخ مرعي ولم يعد من ذلك الحين الى وطنه. امّا الشيخ مرعي فانهُ عاد الى لبنان ثانية في ١٨٥٤ مع كل عائلته ما عدا احد اولادهِ ابقاه في مرسيلية ليدير اشغالهُ. وتوفي في الكفور ١٨٦٨ ودُفن في مدفن اجداده بكنيسة الكفور تاركًا ثلاثة اولاد ذكور وابنة (١

اما رُشيد فقد اقترن بمرتا ابنة مرعي وفي سنة ١٨٥٢ ترك محل عمهِ وادار اشغالًا تجاريّة في فرنسة لحسابه. ثمّ انشأ محلًا في انكلترة واستدعى اليهِ اخاهُ سلومًا ليساعدهُ في اعمالهِ وكان رغمًا عن اشغالهِ التجاريّة يتعاطى العلوم ويخدم الآداب والمعارف فطبع سنة ١٨٤٩ « قاموس المطران جرمانوس فرحات في مرسيلية بعد ان رتّبهُ وهذّبهُ واصلح ما فيهِ من الخطإ وذلك بمعاونة المرحوم سمعان شقيق امرأته. فاطنب في مديحه المجمع العلميّ الفرنساوي L'Académie واحسن صلتهُ

١) يوسف (١٨١٣–١٨٩١) هو والد عزتلو اسكندر بك الدحداح – والياس (١٨١٧) وهو لم يزل حيًّا – ولويس (١٨٣٦ – ١٨٩٠) – اما الابنة فهي مرتا قرينة الكونت رشيد موضوع المقالة (١٨٢٣–١٩٠٠). وامّا اخوهم سمعان المحكى عنهُ في هذه المقالة بمساعدته الكونت رشيد في طبع قاموس المطران فقد كان توفي سنة ١٨٥٢ قبل وفاة والده

وانشأ فرعاً لمحلّه التجاري في بيروت سلّمهُ الى اخيهِ خليل . وقد تكلّلت اعمالهُ بالفوز والنجاح حتى سنة ١٨٥٧ التي حدثت فيها مسألة سقوط الحرير الهائلة فنزلت بهِ الى الحضيض وكان وقتئذٍ في انكلترة . فعاد للحال بعائلتهِ الى باريس واخذ يسعى ويجتهد لتعويض ما ذهبت بهِ الاقدار (ستأتي البقية)

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

١٧

كانت البترون في غابر الأيام مدينة عامرة بالسكان قائمةً حول جون صغير ترسو فيهِ السفن . وكانت تُشبه مدن القرون المتوسطة بازقّتها الضيقة واسواقها المسقوفة وازدحام المنازل حول القلعة وهي دار المقدَّم . وقد اقامت على طول الساحل عدداً من أبراج الحافظة وشيّدت في السهل المجاور لها جملة قلاع حصينة حتى صارت مفتاحاً من مفاتيح لبنان الشمالي

ففي ذات يوم من شهر ايلول بينما كانت الشمس ترسل اشعّةً حاميةً على قصر المقدم زيّن شُرفتهُ في احدى الغرف المطلّة على البحر امرأتان متشاغلتان بالغزل وهما صامتتان

وكان بعد قليل أنَّ الصغيرة توقّفت عن الغزل وقطعت خيط الصمت وخاطبت رفيقتها قائلةً : ألاحظتِ يا مريم مولاتنا راحيل ؟

— ما معنى هذا السؤال ؟ فانا نظيرتكِ أراها كل يوم وانت تعلمين مثلي حسن خصالها ورقّتها بجميع المتقيدين بخدمتها

— لم تفهمي يامريم مغزى كلامي . ألم تلحظي كيف انَّ أمارات الغمّ والنكد قد لاحت من بضعة ايام على وجهها

— ولماذا تغتمّ وهي صبيّة جميلة تملك ثروة واسعة وقد اظهرت من الحلم والرفق وسائر الخلال ما جعلها دانيةً من قلوب الكل في هذه المدينة التي اجمع اهلها على